من وراء البحار

أوربا المتحدة أو المنقسمة

يشكو المهتمون بالمشاكل الدولية من أنهم لا يسمعون آراء الخبيرين من الروس ؛ فكل مايسمعونه شذرات وآراء مقتضبة تنقل إليهم عن طريق صحافة أمريكية أو بريطانية ذات هوى ، أو هم يقرءون شيئاً من هذه الآراء فى صحف تصدرها روسيا باللغات الأجنبية وهذه تحمل طابع الدعاية مما لا يجعل لها وزناً كبيراً . ولكن قرأنا أخيراً فى مجلة الأمور الخارجية الأمريكية التى تصدر كل ثلاثةأشهر ، مقالا لخبير روسى مطلع هو الأستاذ ألكسندر جالن الكاتب السوفييتى المعروف فى الأمور الدولية وأستاذ علم التاريخ بجامعة موسكو .وفى هذا المقال استعرض بجلاء وإسهاب واعتدال مشكلة أوربا وهل ستكون منقسمةأو متحدة ، وهو مقال فيه كثير من الآراء الطريفة وهو يتحدث عن فكرة تنظيم أوربا واتحادها ، وقد بدأت الصحف تتكلم عن هذه الفكرة فى أثناء الحرب العالمية الثانية وظهرت فى شكل إنشاء كتلة غربية أوربية أو اتحاد أوربى غربى . ثم اقترح مستر تشرشل إنشاء ولايات متحدة أوربية،ولكن مسيو بلوم أراد أن يكون مظهرها أكثر براءة فأحب أن يسميها إنشاء أسرة أوربية غربية . ومما لا شك فيه أن الفكرة كانت تعرض بين آن وآخر منذ قرنين أو ثلاثة ، وفيما بين الحربين الأخيرتين اتخذت اتجاهاً عمليا حين نادى بها الكونت كاليرجى السياسى النمساوى وحين اتخذت فى سنة ١٩٢٩ اتجاهاً شبه رسمى عندما عرض مسيو بريان على رؤساء الوفود فى جمعية الأمم إنشاء اتحاد ائتلافى أوربى ، وطلب إليه أن يضع مذكرة فى ذلك يبلغها جميع الدول ومنها دول الاتحاد السوفييتى . وكانت خلاصة مذكرته ضرورة وضع ميثاق مبدئى يؤكد مبدأ تضامن الدول الأوربية واتحادها أدبيا ، واقتراح إيجاد مؤتمر ولجنة سياسية دولية لتحقيق ذلك الاتحاد ووضع برنامج أساسى لذلك .

وكانت حكومة العمال البريطانية التى كانت متولية الأمور فى سنة ١٩٣٠ متحفظة فى إجابتها على هذه المذكرة ، ثم

قابلت ألمانيا هذه المذكرة بفتور ، وكانت إيطاليا معادية للفكرة . أما الرأى العام الأوربى فقابل هذه المقترحات بذعر كبير إذ رأى فيها مقاومة للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .

أما روسيا السوفيتية فقد اعترضت على المذكرة التى دعتها للاشتراك فى فكرة تتعارض مع نظامها ورأت أن الفكرة أمليت على الدول بدون أخذ رأيها لا سيما أنها مبعدة عن جمعية الأمم .

وقد اعترض لورد سيسيل ممثل بريطانيا فى جمعية الأمم صراحة على الفكرة قائلا إن أوربا التى تكون معارضة للعالم بأجمعه تكون أشد خطراً على السلم من المنافسة الدولية.

وانتهى أمر هذه المقترحات بأن ضمت إلى محفوظات الدول. ولما استولى هتلر على الأمر فى ألمانيا عادت فكرة أتحاد أوربا على قاعدة جديدة . ونظام هتلر المسمى النظام الجديد مقتبس من مقترحات بريان و إن وضع لخدمة صالح الاستعمار الألمانى ، وفيه ادعت ألمانيا الزعامة فى أوربا . وكان هتلر فى خطوته الأولى يرمى إلى تحطيم بريطانيا وأمريكا وروسيا السوفييتية . ولكنه فى الخطوة الثانية أراد تحطيم روسيا السوفييتية ثم استخدام مواردها ضد بريطانيا وأمريكا بحيث يكون عندئذ اتحاداً أوربيا فعليا تحت الاستعمار الألمانى . وقد تحطمت ألمانيا وهى تجاهد فى سبيل الوصول إلى هذا الغرض ، وتخلصت أوربا مرة أخرى من المنادين بالاتحاد

وعادت الفكرة من جديد فى سنة ١٩٤٤ وقد تبناها الجنرال فرانكو الذى تنبأ بهزيمة ألمانيا و إيطاليا، فعمد فى رسالة أرسلها إلى تشرشل إلى الدعوة باتحاد أوربا لمقاومة روسيا السوفيتية ، غير أن تشرشل لم يؤيد الفكرة جهاراً إذ كان فى الحكم ، ولكنه مما لاشك فيه أن الحكومة البريطانية كانت تؤيد فكرة ائتلاف أوربى غربى . وهكذا شأن العمال البريطانيين إذ صرح هارولد لاسكى فى أغسطس سنة ١٩٤٥ قائلا : « مما لاشك فيه أن حزب العمال يؤيد فكرة اتحاد اقتصادى يضم بريطانيا وفرنسا والبلجيك وهولاندا والنرويج والدانمرك ، وأن يكون بينها أوثق رباط فى جميع الميادين » . وأيده كثيرون من العمال فى رأيه و إن لم يعلن الحزب تأييده رسميا . وعاد تشرشل إلى الفكرة يحبذها بعد أن أطلق من قيود المنصب لاسيما فى خطبته التى ألقاها بزيوريخ فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ حين أعلن فى عبارة منمقة

مليئة بالترغيب والارهاب تأييداً لهذه الفكرة التى هى أمل الفاشيين .

فمن هو الذى يوحد بين دول أوربا وما هو الغرض ؟ يرى تشرشل أن الزعامة لابد أن تتولاها فرنسا وألمانيا . ولكن أى جزء من ألمانيا ؟ من الواضح أنه يعنى ألمانيا الخاضعة للاحتلال البريطانى والأمريكى والفرنسى . والمعلوم أن ألمانيا لم تتبرأ بعد من النازية وأنها فى المناطق المذكورة بعيدة كل البعد عن الديمقراطية . ونرى مستر تشرشل فى عجلة لأنه يود أن يصل إلى غرضه قبل أن تنفذ الديمقراطية إلى هذه المناطق . ولقد وجدت أقوال تشرشل صدى لدى هانريخ ليختجنز زعيم الحزب الوطنى الديمقراطى الألمانى الذى أيد إيجاد اتحاد غربى أوربى تحت زعامة بريطانيا ، وأبدى احترامه وإعجابه بتشرشل .

ولقد سكت مستر تشرشل عن الدور الذى تمثله بريطانيا فى هذا الاتحاد وهو يلبسها ثوب الرجل الخير الذى لايرمى إلى غرض نفعى . ولعله لا يوجد فى العالم سياسى واحد يعتقد أن السياسة البريطانية الخارجية قائمة على نكران الذات .

فأية دول سيسمح لها بالانضمام إلى هذه الولايات المتحدة الأوربية ؟ تجنب مستر تشرشل الصراحة أيضاً فى هذه المسألة ، ولكن يبدو من أقوال أنصاره المتحمسين لفكرته أن هذه الدول هى فرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا وأسبانيا والبرتغال وبلجيك والدانمرك وهولندا وسويسرا والدولتان السكندناويتان . ولقد كان اتحاد بريان يقف عند حدود السوفييت فى سنة ١٩٣١ أما فكرة اليوم فلا تكتفى بابعاد الاتحاد السوفييتى بل هى تبعد أيضاً فنلندا وبولونيا والمجر ورومانيا والمنطقة السوفييتية من ألمانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا . فاذا تذكرنا أن روسيا الأوربية تشمل ثمانى جمهوريات سوفييتية يبلغ تعدادها ١٣٠ مليون من السكان وأن الدول المتاخمة لها والتى ستبعد عن هذا الاتحاد يبلغ عدد سكانها ٩٠ مليوناً ، بدا لنا أن تشرشل يريد أن يتحد نصف سكان أوربا ليقفوا فى وجه النصف الآخر .

ولقد زعم مستر تشرشل عن سخاء بأنه يكل الزعامة لفرنسا وألمانيا ، ولكن الحقيقة أن هذه الزعامة ستكون رمزية فقط وهو يضمر أن تكون بريطانيا سيدة الأقدار فى أوربا . وما هو الغرض من هذا الاتحاد ؟ هل هو سياسى أو اقتصادى أو حربى ؟ إنه الثلاثة معاً

فهو يريد إلغاء الحواجز الجمركية فى هذا الاتحاد ، وهو يريد أن يكون هذا النصف من أوربا محافظاً ليجد فيه طعاماً للمدافع فى المغامرات الحربية المستقبلة ولكنه الآن يخفى هذه الأغراض إلى أن تتألف الكتلة .

ولو أنه يريد مجرد إنهاض الدول الأوربية اقتصادياً ولو أنه يقصد إلى غرض سلمى لما أبعد عن اتحاده روسيا السوفييتية التى بذلت أكثر مما بذلت بريطانيا فى سبيل هزيمة هتلر . ولماذا أبعدت دول مثل بولونيا ويوغسلافيا التى حاقت بها المصائب من النازيين أكثر من غيرها ؟ الحقيقة أن فكرته ترمى إلى إنشاء كتلة معادية للسوفييت . وليس ذلك فحسب ، بل هى بالرغم مما ساقه من أزاهير الثناء على أمريكا معادية لأمريكا نفسها ، لكى يتخلص من نفوذها الاقتصادى والسياسى فى ذلك الجزء من أوربا . ولو أنه كان صريحاً فى كلامه لقال فى جلاء إن بريطانيا خرجت من الحرب ضعيفة اقتصاديا وسياسيا و إن حليفتيها الكبيرتين هما الآن أقوى منها ، و إن مستعمراتها لا سيما الهند فى اضطراب خطير ، لذلك يجب أن نوحد بين الدول الأوربية لمنع نفوذ السوفييت والولايات المتحدة فيها ؛ ولتكون هذه الكتلة خاضعة للتوسع البريطانى .

هذا مايجب أن يقوله ، ولكنه آثر أن يقتفى خطوات هتلر الذى بدأ بانشاء ميثاق مقاوم للكومنتيرن وانتهى بالحرب والكوارث . ولقد صدق الرئيس روزفلت حين وصفه بقوله « إنه محافظ قديم من المدرسة القديمة » .

وقد تألفت بلندن فى منتصف يناير الماضى لجنة للعمل على اتحاد أوربا برياسة مستر تشرشل وتجد هذه اللجنة تحمساً من زعماء كثيرين من المحافظين وانضم اليها بعض زعماء العمال . ولكن الحكومة البريطانية الحالية لاتؤيدها .

أما موقف روسيا السوفييتية فهو موقف معارض لمثل هذا الاتحاد الذى ينادى به زعماء رجعيون والذى يخالف الديمقراطية ، وسوف يؤدى إن تم إلى أن تحل الكوارث بأوربا والعالم بأسره .

ولقد نادى بعض أعضاء البرلمان البريطانى من العمال بضرورة المجاهرة بأن تعلن بريطانيا رغبتها فى التآلف مع أية دولة أخرى ومثل هذا التآلف يقوم على مبادئ غير التى نادى بها تشرشل ، ولكنه يرمى إلى فكرة واحدة بالرغم من هذا الاختلاف هى جمع أكثر عدد من الدول حول بريطانيا لكى ينقذوا بريطانيا من صعوبتها الاقتصادية والسياسية على حساب هذه الدول . وهذا هو السبب فى أن زيارة

ليون بلوم لانجلترا قوبلت بالترحاب من جميع الجهات . ولكن بلوم ليس هو فرنسا ، ولانظن أن الشعب الفرنسى بالرغم من انقسامه فى هذه الفترة يرضى بأن تكون الجمهورية الرابعة أداة فى يد انجلترا لتحقيق أغراضها .

ولا ريب فى أن هذا الاتحاد يتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة الذى ينص على أن المعاهدات بين مجموعة من الدول يجب ألا تكون موجهة لمعاداة مجموعة أخرى ، وأن التسويات التى تتخذ فى نطاق دول يجب ألا تتعارض مع نص ميثاق الدول المتحدة وروحه، وأن تعمل الدول التى اشتركت فى هزيمة المحور اشتراكاً كبيراً على تأييد السلم والأمن . إذن لا معنى بعد هذه النصوص لوجود هذا الاتحاد الذى يرغب فيه تشرشل ؛ إذ ما هو إلا شقاق تحت اسم آخر .

اتجاه فى السياسة الدولية

يرى السياسى الفرنسى بول رينو رئيس الوزارة فى زمن الهزيمة فى مقال افتتاحى نشرته له مجلة « ريفى دى بارى » الشهرية فى عدد إبريل أن يوم ١٢ مارس سنة ١٩٤٧ سيكون يوماً ثابتاً فى تاريخ العالم ، ففيه أعرب الرئيس ترومان عن اعتقاده بأن العهد الأمريكى قد بدأ فهو منذ الكلمة الأولى التى نطق بها فى خطبته التى ألقاها بالمجلس الأمريكى صرح بأن مسألة إقراض تركيا واليونان ليست مجرد مسألة مالية بل إنه فعل ذلك لأن « سياسة البلاد الخارجية ومشكلاتها الوطنية فى خطر » .

يسائل رينو ما هى هذه السلامة الوطنية مع أن القنابل الذرية التى تصنعها الولايات المتحدة اليوم تفوق القنبلة التى ألقيت على هيروشيما فى قوتها بستمائة مرة ؟ لذلك يرى أنه كان صادقاً حين صرح فى الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٧ فبراير الماضى بأن للولايات المتحدة تفوقاً ساحقاً على جميع الدول الأخرى مجتمعة . فالمسألة إذن ليست مسألة سلامة وطنية وإنما هى شعور بالقوة يدفع هذه الجمهورية العظيمة إلى التدخل القوى فى أمور العالم .

من المؤكد أن الغرض الأول هو تموين ذلك الشعب اليونانى الصغير الذى أبدى بطولة وتعذب كثيراً فى

أثناء القتال ، ولكن الغرض الهام هو منعه من أن يبتلع فى الكتلة الشرقية التى تؤلفها السوفييت؛ فالحارس الأمريكى إذن سيحل محل الحارس الانجليزى .

أما الشعب التركى الذى لم يتألم أثناء الحرب ولكن حكومة السوفييت تلح فى إصرار عليه بحقها فى أن تحل معه على ضفاف الدردنيل ، فانه سيجد الاعانة نفسها التى منحت لليونان وسيمد مثل اليونان بالمعلمين الحربيين . وهكذا نرى الأمريكيين على الحدود السوفيتية فى القوقاز ، ونراهم يسيطرون على خروج السفن الروسية التى تتجه نحو البحر الأبيض المتوسط والبحار الحرة . وبلاد منرو إذن ستسيطر منذ الآن على البحر اللاتينى . فأى فرق بين موقف مجلس الشيوخ الأمريكى حين رفض التصديق على معاهدة فرساى وبينه اليوم ؟

وهكذا وضعت أمريكا حاجزاً لتقدم الكتلة الشرقية نحو الغرب ، ووقفت حارسة على الحدود الروسية .

وليس هذا كل شئ ، بل إن الرئيس ترومان يهاجم الكتلة الشرقية ويعيب أمام العالم أنها فرضت على بلغاريا وبولونيا ورومانيا نظاما دكتاتوريا بغير رغبة هذه الدول وبالقوة والارهاب بالرغم من اتفاقات يالتا . وهو بالطبع يريد أن يقول إنها فرضت نظاماً شيوعيا . وهو يقول إن هناك محاولات كهذه فى بلاد أخرى . فالأمر أمر خلاف بين نوعين من الحياة .

فأمريكا إذن لن تسمح بتحول النظام السياسى لأية دولة إما بالقوة أو على قول رئيسها بطرق ملتوية مثل التغلغل السياسى ، ولقد فهم العالم ذلك . وعلى كل حال ستساعد أمريكا « الأمم الحرة المستقلة على الاحتفاظ بحريتها » وبذلك تنفذ ميثاق الأمم المتحدة . ومما لا ريب فيه أن جمعية الأمم الزائلة كانت فى حاجة إلى حراس ، ولقد وجدت الجمعية التى حلت محلها هذا الحرس .

وليس ذلك إلا لأن القنبلة الذرية الآن أقوى ستمائة مرة من تلك القنبلة التى ألقيت على هيروشيما .

ولقد نزلت صراحة ترومان على موسكو كالبرق ، فأعمت أبصار وزراء الحلفاء المجتمعين فيها وتوقفوا عن ألاعيبهم الصغيرة . ونشرت جريدة « أزفتسيا » الروسية تعليقاً معتدلا تكلمت فيه عن إخفاق الانجليز التام فى اليونان وصرحت بأنه ما من أحد يهدد سلامة تركيا . فهل كانت هذه اللغة تقال لو أن الولايات المتحدة أدارت ظهرها إلى أوربا ؟

ومن العجيب أن الجريدة التى

تنطق بلسان الحزب الشيوعى الفرنسى كانت أشد لهجة ، ووصفت تصريحات ترومان بأنها لا تحتمل وأنه يشجع المهاجمات التى هوجم بها الحزب الشيوعى فى أثناء مناقشة موضوع الهند الصينية .

وقد تكلم مسيو بول رينو طويلا عن هذه المناقشة التى كانت فى الجمعية الوطنية الفرنسية فى ١٤ مارس الماضى ودافع عن موقفه فى هذه المناقشة ودفع ما اتهمه به الحزب الشيوعى من أنه يؤيد الرجعية .

أسطورتان سياسيتان

كتب مستر ليندلى الكاتب المعروف فى مجلة « ناشنال ريفيو » البريطانية الشهرية وهى من المجلات المحافظة مقالا فى عدد إبريل سنة ١٩٤٧ عن أسطورتين حديثتين تترددان فى الأفق السياسى. فهو يقول إنه مما يلذ للمراقب أن يرى أن البيانات الخاطئة تجد تصديقاً من الناس إذا رددت مرات كثيرة على آذانهم . ويضرب لذلك مثلين : أولهما مايسميه الناس «التجربة السوفيتية » . فالشيوعيون لا يفتأون يعلنون بطبيعة الحال النجاح الكبير الذى يلاقونه فى كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية . وأغلب الصحف البريطانية والنقاد البريطانيون لا يؤيدون هذه المزاعم كاملة ، ولكنهم يريدون أن يظهروا بمظهر سعة العقل فيوافقون على أن النظام الحاضر فى روسيا هو خير من النظام القيصرى .

على أن الكتاب الذى وضعه كرافشنكو الكاتب الروسى الذى فر من الشيوعية وأسماه « لقد اخترت الحرية » يدل دلالة واضحة على أن هذا الكلام عبث، وكل مانحتاج إليه لصحة الحكم هو قليل من التقدير ومعرفة بدائية بروسيا قبل الثورة . فاذا استعرضنا مسألة الطعام أولا فاننا نجد أن روسيا قبل سنة ١٩١٤ — ولقد كان الكاتب عليما بها كل العلم — كانت تتمتع بكثرة الطعام ورخص أثمانه وجودة نوعه بما لا يكاد يوجد له مثيل فى العالم ؛ فكان يمكن أن يطعم المرء أكلة من خير ما يكون فى مطعم أية محطة بما لا يزيد عن روبل واحد ، ويوجد ما هو أرخص من ذلك . ومع ذلك وبعد عشرين سنة قضتها روسيا فى السلم أى فى سنة ١٩٤٠ صار الطعام موزعاً بالبطاقات . يدعى الشيوعيون أن توزيع الطعام بالبطاقة

حتى الآن هو نتيجة الحرب . وهذا غير صحيح ؛ فان موارد المنطقة النابعة للسوفييت فيما يتعلق بالطعام غير محدودة لو أن الحكومة كانت صالحة بعض الشئ ، فهى فى الواقع أكبر كثيراً من موارد الولايات المتحدة . والواقع أن هذه القلة فى الطعام هى نتيجة سوء الحكم الشيوعى .

ويزعم الناس أن المقاومة الناجحة التى قامت بها القوات السوفيتية ضد الألمان هى نتيجة لنجاح النظام الشيوعى . فما تجب الاشارة إليه أن هذا النجاح نسبى فقد سبقته هزائم حربية فظيعة وخسارة فى الأرض والرجال لم يسبق لها مثيل فى حرب من الحروب ، ولم يتحول مجرى الحرب إلا بالعوامل التى هزمت نابليون وهى اتساع المساحة والشتاء ، وأخيراً الصفات العالية للجندى الروسى ، وهذه الصفات مما لا ينكرها أحد ممن رأوا الحرب العالمية الأولى ؛ ففى تلك الحرب قاتل الروس بمثل الشجاعة التى أظهروها أخيراً واستطاعوا أن يهزموا النمساويين ، والأتراك فى كل ميدان ، ولكنهم لم يكونوا أكفاء للألمانيين كشأنهم فى سنة ١٩٤١ ولو أن الجيش القيصرى كان قائماً بالقتال لخرج من الحرب بانتصارات أبهر مما خرجت به الجيوش السوفييتية فى سنة ١٩٤٥ بعد أن استعمل رجال السوفييت الطرق التطهيرية التى اعتادوا استعمالها دون تردد

أمر آخر من الأمور التى يرددها الناس هو إيجاد الحكومة لصناعات مزدهرة ، وإقامة هذه الصناعات من العدم . وليس هذا القول بحق ؛ فان روسيا كانت تتمتع فى سنة ١٩١٤ بصناعات هامة ثقيلة ، كما أنه بدأت فيها صناعات جديدة مثل صناعة القطن ، وكان الكونت ويت بعمل بقوة على اتباع سياسة صناعية ناهضة ومد سكك حديدية ، ولم تقف هذه النهضة إلا بسبب الحرب والثورة الشيوعية .

ولو سارت الأمور فى هذا الطريق لما اضطر الشعب لأن يتحمل الحرمان من الضروريات الأولى حتى من بناء الدور فى سبيل التسليح فيما بين الحربين ، وبالرغم من هذه التضحيات الكبيرة هل يمكن مقارنة مجهود السوفييت فى الحرب بالمجهود الأمريكى؟ لقد استطاع الأمريكان فى ثلاث سنوات دون أن يحملوا شعبهم تضحيات مؤلمة أن يكونوا أبعد مدى فى كمية التسليح ونوعه مما لا يقارن به مجهود السوفييت فى ست سنوات . ولعل المقارنة بين هاتين الدولتين هو خير مثل

للعمل بالمجهود الفردى والعمل الذى تحتكره الدولة .

وثانى الأساطير أنه مما اعتاده الناس إذا ذكروا الشرق الأقصى أن يعتبروا سن يات سن من الذين أسدوا يداً للعالم . ولكن التفكير فى هذا الموضوع يثبت لنا أن الثورة التى قام بها هذا الرجل سببت تعاسة ليس لها مثيل ، وكانت من أكبر الكوارث التى حلت بالصين مدة خمس وثلاثين سنة ، وقد يمضى مثلها من السنوات قبل أن تتحسن الأمور . وكل من يعرفون الصين حق المعرفة يرون أن الصين كانت بحاجة إلى أسرة حاكمة جديدة بدلا من الجمهورية التى أنشأها سن يات سن . ولقد كان يوان — شى — كاى الذى يعمل على ذلك بعيد النظر ، غير أنه قوبل بالمعارضة من روسيا واليابان فات كسير الخاطر .

و يرى الكاتب أن الحكام البريطانيين لا يهضمون فكرة قتل الجماهير من الناس و اتخاذ معسكرات يساق إليها المعارضون وما ماثلها من الطرق التى يلجأ إليها النازى والسوفييت ، ولكن هذه الوسائل هى المتبعة للاحتفاظ بالتجربة السوفييتية . و إذا كانت الطرق الاشتراكية ستخفق فى بريطانيا فسيصيح الشيوعيون قائلين إن السبب هو عدم تطبيق النظام الشيوعى بأكمله ، وسيتخذ هؤلاء الناس روسيا السوفييتية مثالا للنجاح ، ولن يفكروا لحظة فى أن الامبراطورية السوفييتية لها من الموارد ما ليس له مثيل فى الجزيرة البريطانية الصغيرة الغاصة بالسكان .

وأعرب عن أمله فى أن يتدبر الانجليز أمرهم لكى يتجنبوا هذه الأخطار .